

الباب الثاني

عالمية الشريعة الإسلامية

الفصل الأول :

ما هي الضرورة إلى عالمية الشريعة الإسلامية؟!

الفصل الثاني :

نماذج من عالمية الشريعة الإسلامية .

obeikandi.com

مدخل

في منظور الشريعة ، كل البشر عباد الله ، ذلك لأن الله الواحد هو رب الناس جميعاً ، لا رب شعب ألماني أو يهودي ، إنما هو كما قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِلَٰهَ إِلَٰهِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم : ٩٣] .

لذلك خاطبت العقيدة العالم كله بالإيمان بالله سبحانه لا شريك له ، دون أن تحدد العقيدة الإسلامية أمة أو شعباً أو قبيلة بشيء خاص ، إنما المسألة كما قال الله تعالى :

﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الجاثية : ٣٦] .

كذلك توجهت الشريعة الإسلامية إلى كل فرد من أفراد البشرية أنه متساوٍ مع الآخرين أمام القضاء وأمام الأخلاقيات وأمام الحقوق والواجبات ، لذلك لا يجوز للمسلم أن يعتدي على نصراني أو يهودي أو مجوسي أو كافر ، بل لا يجوز له أن يعتدي حتى على الحيوان ، لذلك وقف التاريخ بشكل مذهول أمام الأخلاق الحربية التي حملها المسلمون ، فلا يُقتل شيخ كبير ، ولا امرأة ، ولا رهبان ، ولا طفل صغير ، ولا تُقطع شجرة ولا تُحرق ، ولا يُمثل بالقتلى ، ولا غدر ولا خيانة ، لأن البشر كلهم مكرمون . قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وقال أيضاً : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٨] .

وكل الأخلاق التي طرحتها الشريعة الإسلامية لا تتجه إلى المسلمين فقط ، إنما تتجاوز ذلك إلى كل بني الإنسان .

وهكذا يتسع التشريع الإسلامي لجميع البشر ، وبالتالي يراعي مصلحة الفرد والجماعة معاً ، ولا يغلب مصلحة الجماعة - كما في النظام الشيوعي - على مصلحة الفرد ، ولا يغلب مصلحة الفرد - كما في النظام الرأسمالي - على مصلحة الجماعة .

وبهذا كله - وبغيره - كانت سمة الإسلام هي السمة العالمية وفي كل وقت وحين .

* * *

الفصل الأول

ما هي الضرورة إلى

عالمية الشريعة الإسلامية؟!

إن المتأمل بما نُقل إلينا عن الوضع العام قبيل مبعث سيدنا رسول الله ﷺ ، يوقن تماماً أن العالم بأسره كان مستعداً ، بل كان بحاجة ماسة إلى استقبال شريعة عالمية ، لا تحدّها الحدود الجغرافية ولا غيرها .

ذلك لأن القرنين السادس والسابع للميلاد كانا كأسوأ ما عرفه التاريخ ، فالناس عبيد يقدسون سلالات تدعي الأحقية في حكم الناس من خلال أن الله أعطاهم ذلك الحق ، وما آل ساسان في فارس ، وملوك الصين ، وإمبراطوريات الرومان ، إلا نماذج عن ذلك .

وهكذا بعدت المسافة بين تعاليم السماء وبين الأرض ، فنسي الناس الخالق سبحانه وزُورت تعاليم الأنبياء عليهم السلام ، وانزوى كهنة الأديان بالكنائس والأديرة ، وترك الشعب المسكين يتخبط بين جشع أصحاب رؤوس الأموال وبين أفكار مثالية لا رصيد لها على أرض الواقع^(١) .

(١) للتوسع في ذلك يراجع : سيرة سيّد الأنام عليه الصلاة والسلام ، الجزء الأول : ٣٤-١٧ ، للمؤلف .

فالإمبراطورية فارس كانت تدين بالزرادشتية ، حيث قدّست أهلها النار والشمس ، وانحسر دور الدين عندهم بالمعابد فقط ، أما خارجها فهم أحرار يتبعون لذاتهم وشهواتهم .

وأما الملوك عندهم فقد أقنعوا الناس أن دماء الآلهة تجري في عروقهم ، لذلك فكل ما في البلاد أصبح ملكاً لهم ، فعاشوا حياة الترف ، بينما بقي الشعب المسكين يعاني البؤس والشقاء ، وانتشرت عادات ما أنزل الله بها من سلطان كالزواج بالمحرمات ، خاصة عند ظهور فكرة (المزدكية) التي دعت إلى إباحة الأموال والنساء !!

ومثل ذلك الإمبراطورية الرومانية : التي اختلفت الفئات فيها على حقيقة المسيح ، ولم تتفق إلا عندما طورت العقيدة إلى التثليث ، وفي ذلك يقول الدكتور غوستاف لوبون : (ولقد أكرهت مصر على انتحال النصرانية ، ولكنها هبطت بذلك إلى حضيض الانحطاط الذي لم يتشلها منه سوى الفتح العربي ، وكان البؤس والشقاء مما كانت تعانيه مصر التي كانت مسرحاً للاختلافات الدينية الكثيرة في ذلك الزمن ، وكان أهل مصر يقتتلون ويتلاعنون بفعل تلك الاختلافات ، وكانت مصر التي أكلتها الانقسامات الدينية ، وأنهكها استبداد الحكام تحقد أشد الحقد على ساداتها الروم ، وتنتظر ساعة تحريرها من براثن قياصرة القسطنطينية الظالمين) .

وكان التقديس للملوك عندهم قد بلغ مبلغاً كبيراً ، فهم يسجدون للملك ، ويعتقدون أنه من سلالة الآلهة ، وكل مهمة مجلس الشيوخ تأكيد صحة ما يقول الملك !!

من جهة أخرى ارتفعت الأسعار عندهم وزادت الضرائب وانتشرت الرشوة والاستغلال الاقتصادي والاستبداد السياسي . . .

وكذلك الهند لم تكن أحسن حالاً : لقد اتخذوا آلهة ومعبودات يرفضها العقل السليم ، كالبقرة ، ونهر الغانج ، وغير ذلك ، وكل فترة يزدون تمثالاً جديداً لآلهة جديدة!!

ووصل السُّخف عندهم إلى أن عبد الرجال النساء العاريات وعبد النساء الرجال العراة!! بل وانتشرت الدعارة الجنسية بين صفوف الكهنة في المعابد!!

وأهينت المرأة إلى درجة أن الرجل كان يخسر امرأته في القمار . والكلام نفسه يقال في الوضع العام للصين .

أما الجزيرة العربية فقد تغلغل فيها اليهود ، أولئك القوم الذي حرّفوا التوراة ، وعاشوا التكالب الكبير على متع الدنيا ، سواء كانت حلالاً أم حراماً .

وفي مكة وبعض الأماكن في الجزيرة العربية كان البعض يدينون بدين إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، لكن لم يبق من تلك الديانة إلا القليل ، وأدخلت الأصنام إلى معابدهم وبيوتاتهم ، وجحدوا باليوم الآخر :

﴿ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَاءَ إِيَّانَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء : ٤٩] .

لكن هذا التخبط تراه يقترب تارة من الأديان وبيتعد أخرى ، لذلك كانوا يحجون إلى بيت الله الحرام ، ويفلسفون مسألة عبادة الأصنام بأنها تقربهم إلى الله فقط :

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] .

من جهة أخرى ظهرت عادات الأخذ بالثأر ، وانتشر الزنى ، وأهينت المرأة ، حتى وئدت البنات خوف العار ، وتعاملوا كثيراً بالربا . . .

إذا :

كانت الضرورة ملحة لمجيء المنقذ ، لا لينقذ قبيلته فقط ، ولا لينقذ أمته فقط ، بل لينقذ العالم كله ، أي لتكون شريعته هي الشريعة العالمية التي تخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وتقضي على كل الأوضاع السيئة التي سادت فترة من الزمن ، وتعيد الناس إلى جادة الصواب ، فكان ذلكم المنقذ هو سيدنا رسول الله ﷺ ، لذلك وخلال سنوات قليلة رفع لواء التوحيد فقضى على الأصنام والعقائد الفاسدة ، وحول العرب الذين كانوا ألعوبة في يد اليهود والرومان ، إلى سادة للدنيا ، وأخرج العباد - وفي كل العالم - من جور الحكام والسجود للدجاجة إلى عدل الإسلام ، وهكذا تلقف الناس دعوته ، لتدخل الجزيرة العربية في الدين الحنيف أفواجاً ، ثم لتدخل شعوب من هنا وهناك ، حتى وصلت الأنوار الإيمانية إلى كل أصقاع المعمورة ، لذلك فليس هناك مكان في العالم إلا وتسمع فيه : الله أكبر .

وهذا تفسير عالمية الرسالة ، من خلال عالمية الرسول الخاتم ﷺ ، لذلك ومنذ الأيام الأولى للرسالة ، حدد المسار والهدف ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وكذلك : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبا : ٢٨] .

كذلك : ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وهكذا نفهم أن أسباب إرسال الرسل إلى قومهم خاصة ، أنهم كانوا يحملون مهمة واحدة هي ضم الأفراد في جماعات ، وأما رسول الله العالمي فجاء بمهمة أكبر وهي ضم تلك الجماعات في أمة واحدة :

﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون : ٥٢] .

وهناك شيء آخر يتعلق بالدين الذي جاء به رسول الله ﷺ : فهو دين لا يأخذ جانباً واحداً من حياة الفرد أو الجماعة ، بل إنه يتابع مسيرة الفرد من قبل أن يستهلّ إلى الدنيا ، وحتى ما وراء الموت ، فهو يتدخل في جزئيات اختيار المرأة كشريكة للرجل ، ويتدخل في العلاقات العامة - حتى الجنسية - بين الرجل والمرأة ، وهو يتدخل في شؤون الأسرة والدولة والأنظمة العامة وفي كل شيء ، والهدف من ذلك كله ألا يعيش الفرد حالات التخبّط والمتاهات والفراغ .

كذلك ، فهذا الدين لا يميل مع فئة الحكام ضد العبيد ، ولا مع الأغنياء ضد الفقراء ، ولا مع الرجال ضد النساء ، إنما هو مجرد عن الهوى ، يراعي مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة وهذه هي إحدى أسس نظام يتصف بالعالمية ، وبالتالي فالميزان الذي جاء به الرسول ﷺ إذا طُبّق في أي زمان أو مكان عاشت الأمم والأفراد عيشة راضية لا تسمع فيها لائحة!!

السور المكية تصف عمّ النبي وصفاً سيئاً ، ليكون ذلك إلى يوم الدين دستوراً تقرؤه الأجيال لتفهم أن القرابة - النسب - لا تعطي ميزات خاصة أبداً ، إنما المسألة :

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ ﴾

[المسد : ١-٥] .

بينما في الكفة الثانية : عبدٌ من إيران ، يقطع البُيُودات والقفار ، ليعلن إسلامه ويتمسك حقيقة بتلك التعاليم ، يقول عنه الرسول ﷺ : « سلمان منا آل البيت » وفي رواية أخرى : « لا تقولوا سلمان الفارسي ، إنما قولوا : سلمان المحمدي » هذا هو الميزان الذي يصلح لكل الأزمان والأمكنة ، فالعنوان العريض :

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [الحجرات : ١٣] .

لا فرق بين أبيض وأسود إلا بالتقوى . « لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » وكم هو الفرق الكبير بين ميزان كهذا الميزان ، وبين ما كانت عليه أمور الأمم السابقة ، . . . وما تسير عليه أمم الأرض اليوم؟! (١) .

وهذا هو التوجيه القرآني لرسول الله ﷺ بألا يحابي أحداً للونه أو قرابته أو نسبه أو ماله أو زعامته ، إنما أن يسير على منهج محدد مضبوط ، قال الله تعالى :

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الجاثية : ١٨] .

كذلك فالدين الذي جاء به رسول الله ﷺ هو الدين الذي يجمع بين التطلّع إلى حاجات الجسد وحاجات الروح ، وهذه عالمية الرسالة ، عالمية الشريعة ، عالمية الدين حقاً .

فالنصرانية أوغلت في الحديث عن جوانب الروح ، لكنها أهملت الجوانب المتعلقة بالجسد ، على العكس من اليهودية ، لكن الإسلام العظيم جاء ديناً وسطاً ، التفت إلى الجانب المادي عند الإنسان فاهتم به ، والتفت إلى الجانب الروحي فاهتم به ، لذلك حرّم الإسلام الرهبانية ، وحضّ على الزواج ، واعتبر اللقمة التي يضعها الرجل في فم امرأته صدقة ، وهناك من الذنوب ذنوبٌ ليس لها كفارة بأمور تعبدية كالصلاة ونحوها ، إنما كفارتها السعي وراء لقمة العيال . وهكذا :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمٍ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ

(١) للتوسع في الحديث عن الميزان يراجع : الفقراء والأغنياء في ميزان الشريعة الإسلامية ، للمؤلف : ٩١-١١٧ .

وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ [الجمعة : ٩-١٠] .

وكان الله يقول لك : إذا سمعت نداء الصلاة فاهرع إلى المسجد لتؤدي ما افترضه الله عليك ، لكن إذا انتهيت من ذلك فلا تجلس في المسجد ساعات وساعات ، إنما انطلق إلى الكفاح ، إلى إغناء نفسك وعيالك ، لأن الله يحب اليد العليا ويكره التسول ، وبهذا فأنت تنتقل من عبادة الصلاة في المسجد إلى عبادة أخرى وهي تحصيل الرزق الحلال ، وفي أي مجالات الأنشطة الاقتصادية .

وإذا نظرنا اليوم إلى ما يحدث فيما تسمى بلاد النور والحضارة ، سواء كان ذلك في أمريكا أو أوروبا نرى عجباً :

هناك انتصارات مادية مذهلة ، فلقد حطّ الإنسان على سطح القمر ، ولقد اكتشف الكثير من المجرات ، واستطاع القضاء على كثير من الأمراض المستعصية ، ووفر الرفاهية الكبيرة للإنسان ، وأحدث ثورات رهيبية في مجالات وسائل الإعلام وما إلى هنالك . . . لكن الإنسان هناك يعيش القلق النفسي ، ويعيش التمزق الروحي ، ويعيش الحيرة بعد الحيرة ، ويلجأ إلى الحشيش والمخدرات ، ويهبط في ممارسته الجنسية إلى أدنى من حيوانية الحيوان ، ويخرج بتقلّعات - صرعات - عجيبة ، فلماذا ذلك كله؟!

إنه الفراغ القاتل ، والذي جاء من جرّاء الاهتمام بجانب واحد ، على حساب جانب آخر ، لذلك عندما يصل المواطن هناك إلى درجات الترف دون ضوابط دينية أخلاقية عندها لا يجد للحياة أي طعم يُذكر فيُقدم على الانتحار وما إلى هنالك .

أما المنهج العالمي الذي أرسل به رسول الله الخاتم محمد ﷺ فعنده

الحل الناجع والدواء الناجح لأمراض الأمم السابقة وأمراض الأمم المعاصرة وأمراض الأمم القادمة .

وإلا : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٣] .
﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ [لقمان : ١١] .

أجل ، لقد حدد الدين الذي جاء به الرسول للناس الوظيفة الأساسية على سطح الأرض ، وهي وظيفة الخلافة في الأرض ، وبالتالي أن يعيش الجميع تحت مظلة الدين الحنيف بهدف التعارف والتعاون ، لا بهدف استولي الأقوياء على الفقراء وينهبوا ثرواتهم ومقدراتهم ، ولا بهدف الظلم والاقتيال ، قال الله تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وبالتالي فالبشر عند الله جميعاً مكرمون ، لا لجنس ينتمون إليه ، ولا للون يحملونه ، ولا لقوم أو عشيرة يتنسبون إليها ، إنما لأنهم بشر من سلالة آدم عليه السلام ، قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

كذلك ، فهذا الدين الإسلامي لا يجمع الناس على مذهب سياسي أو إيديولوجية اقتصادية وما إلى هنالك ، إنما يجمع الناس على عقيدة التوحيد ، ليميز بين حزب الله الذي يحمل هذه العقيدة ، وبين حزب المعارضة له وهو حزب الشيطان ، لذلك فالمتتمون إلى حزب الله لا تقف أمامهم حدود جغرافية ولا ينتمون إلى أسماء وضعها الأعداء هنا وهناك إنما يصيح واحداهم :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم
ليرد الآخر :

وأيما ذكر اسم الله في بلد جعلت أرجاءه من لبّ أوطان
ثم يلتفت إلى الآخرين ليقول لهم : أنتم أحرار فيما تعتقدون :
﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ
بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .
لكن شريطة ألا تقفوا حاجزاً منيعاً أمام وصول نور الإسلام إلى
شعوبكم وأفرادكم .

* * *

وهكذا جاءت الشريعة الإسلامية لا لترقّع ما تمزّق ، بل المسألة شيء
آخر ، لقد جاءت لتنسخ الشرائع كلها ، وتضع بديلاً آخر ينطبق مع التوجه
الجديد ، فالأديان السابقة كانت مهمتها تنحصر بأمة ما ، كالنصرانية
لأتباع المسيح عليه السلام ، واليهودية لأتباع موسى عليه السلام ، أما
الشريعة الخالدة العالمية فهي لجميع البشر وإلى قيام الساعة .

لذا كان لابد من نفس العادات البالية وإبدالها بعادات حسنة ، تناسب
الإنسان كل الإنسان ، وهذا المنهج رسمه القرآن الكريم وهو يحدد مهام
النبي العالمي الخاتم ﷺ :

﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وهكذا كان التركيز في العهد المكي على استئصال الأورام الخبيثة من
فكر عفن وعقائد باطلة ، ليستبدلها بـ : « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » فلم
يأمرهم بتفصيلات المعاملات المالية أو الأمور الإدارية أو ما إلى هنالك ،

إنما ركز الهدف حول إرساء العقيدة في القلوب والعقول ، ليحمل الفرد النور والخير والهداية ، وينطلق إلى جميع أصقاع المعمورة بهدف نشر الفضائل والأخلاق الحميدة .

لذلك كان المجتمع ينتظر وبفارغ الصبر واحداً ينقذ الموقف المتردي ، فكان الرسول العالمي المنقذ ﷺ وكانت الشريعة الغراء العالمية ، وكان :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَا سَلَمٌ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

عندئذ من أَرادَه الله ليكون داعية وحامل مشعل النور ، من صحابة ومن بعدهم ، اقتنع الواحد منهم أن الكون كله ملك لله :

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ [مرد : ١٢٣] .

﴿ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ [الرعد : ٣١] .

لذلك سلم الأمر كله لله ، وسار على نهج جده الأكبر خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام :

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة : ١٣١] .

وانضبط الكل بضوابط العدالة ، فكلُّ مسؤول عن عمله ، ولا أحد يحمل وزر أحد . قال تعالى :

﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور : ٢١] .

﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النجم : ٣٩] .

﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء : ١٤] .

﴿ تِلْكَ أُمَمٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٤] .

وبالتالي ، فالجميع يخضعون لرب واحد ، خالق كل شيء :

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ

قَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ أَرْجَعَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٣﴾

[الملك : ٣-٤] .

ويشعر العاقل - حتى لو كان غير مؤمن - أن هناك هاتفاً داخلياً يلح عليه باللجوء إلى الله ، خاصة وقت المحن والشدائد ، قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّكَانَ لِمَ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[يونس : ١٢] .

لأن الشعور بالله جزء من الطبيعة البشرية . قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْهُ بِهِ فَسَسَّاهُ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾

[ق : ١٦] .

هذا الاعتقاد بالخضوع لرب واحد يعتبر واحداً من الركائز التي تدل على عالمية الشريعة الإسلامية ، ومثلها مسألة الانتماء إلى إنسانية واحدة ، مهما كان اللون أو الجنس أو الانتماء المذهبي . . . قال تعالى :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ قَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

* * *

الفصل الثاني

نماذج من عالمية الشريعة الإسلامية

في الكتب السماوية السابقة حديث طويل عن مسألة ذات أهمية ، ألا وهي بشارات الله للأمم السابقة بأن نبياً يأتي في آخر الزمان ، ويحمل معه كتاباً سماوياً خاتماً للكتب السماوية ، فإن عاش منكم أحد - يا أهل الكتب السابقة - إلى حين مبعثه ، فما عليكم إلا الطاعة والسمع له ، فهو النبي الخاتم ، وهو النبي العالمي لكل الأفراد والأمم ، من ذلك وعلى سبيل المثال لا الحصر :

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : فالذي يقطع به من كتاب الله وسنة رسوله من حيث المعنى أن رسول الله قد بشرت به الأنبياء قبله ، وأتباع الأنبياء يعلمون ذلك ولكن أكثرهم يكتُمون ذلك ويخفونه ، قال الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

[الأعراف : ١٥٧-١٥٨] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ ﴾ [آل عمران : ٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ لَا نَذِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاءٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلْتَأْتِ النَّارُ مَوْعِدَهُ ﴾ [هود : ١٧] .

وقال تعالى : ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [يس : ٧٠] .

فذكر تعالى بعثته إلى الأميين وأهل الكتاب وسائر الخلق من عربهم وعجمهم ، فكل من بلغه القرآن فهو نذير له ، قال ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ولا يؤمن بي إلا دخل النار »^(١) .

وفي الصحيحين : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحللت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة ، وفيهما : بعثت إلى الأسود والأحمر قبل العرب والعجم »^(٢) . وقيل : إلى الإنس والجن ، والصحيح أعم من ذلك^(٣) .

(١) صحيح مسلم : رقمه (٢٤٠) .

(٢) صحيح البخاري : ٤٦٢ / ٦ ، صحيح مسلم : رقمه (٢٨٨٩) ، سنن الترمذي : رقمه (٢٧٧٥) .

(٣) للتوسع يراجع البداية والنهاية : ١٣٤ / ٦ .

وهكذا تتالت البشارات بهذا النبي العالمي ﷺ ، من ذلك ما جاء في التوراة التي بلغها موسى عليه السلام :

جاء في سفر الميعاد : أن موسى عليه السلام خطب في بني إسرائيل في آخر عمره ، وذكرهم بأيام الله وأياديه عليهم وإحسانه إليهم وقال لهم فيما قال : واعلموا أن الله سيبعث لكم نبياً من أقاربكم مثلما أرسلني إليكم يأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر ويحل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث فمن عصاه فله الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة .

وجاء في صحف أشعيا - في معاتبته لبني إسرائيل - : فإنني أبعث إليكم وإلى الأمم نبياً أميناً ليس بفظ ولا غليظ القلب ولا صخاب في الأسواق ، أصدره لكل جميل وأحبب له كل خلق كريم ، ثم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى في ضميره والحكمة مقولته والوفاء طبيعته والعدل سيرته والحق شريعته والهدى ملته والإسلام دينه والقرآن كتابه ، أحمد اسمه أهدى به الضلالة وأرفع به بعد الخمالة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين القلوب المختلفة ، وأجعل أمة خير أمة أخرجت للناس ، قرايبهم دماؤهم ، وأناجيلهم في صدورهم ، رهباناً بالليل ، ليوثاً بالنهار .

وفي السفر الأول من التوراة : إن ولد إسماعيل تكون يده على كل الأمم ، وكل الأمم تحت يده وبجميع مساكن إخوته يسكن .

أجل ، فقد أرسل الله سبحانه الأنبياء من قبل ، وأخبر كل واحد بضرورة تصديق رسالة آخرهم وخاتمهم محمد ﷺ ، وأعطاهم دليلاً على صدقه شهادته وإقراره بكل الرسالات السابقة للأنبياء من قبله ، لذلك أرسل كل واحد منهم إلى قبيلة هنا أو شعب هناك .

وقد يكون - والله العالم - سبب ذلك : أن الشعوب وقتئذ كانت معزولة عن بعضها ، فكانت كل رسالة تأتي لتحسن وتكمل الرسالات

السابقة ، حتى كانت الرسالة الخاتمة فتكون عالمية بكل ما فيها :
﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

[المائدة : ٣] .

وكان الرسول العالمي دعوة أبيه الخليل إبراهيم عليه السلام ، وذلك عندما كان يبنى مع ابنه إسماعيل البيت الحرام ، رفع يديه قائلاً :

﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

وكان الرسول العالمي بشارة أخيه عيسى عليه السلام ، ففي الإنجيل يقول عيسى لأتباعه : إني مرتق إلى صفات العلى ، ومرسل إليكم (الفارقليط = وهو محمد ﷺ) روح الحق يعلمكم كل شيء .

وصدق القرآن ذلك : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] .
أما كيف ركز القرآن على مسألة عالميته ، فنرى ذلك واضحاً في خطابات الله في القرآن ، كان الحديث والخطاب عاماً ، فمثلاً نرى كثيراً من الآيات تخاطب بكلمة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ لتدلنا على عالمية الرسالة القرآنية ، قال تعالى :

﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْرٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴾

[الإسراء : ١٠٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبا : ٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى :

يقول تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ . أي إلى جميع الخلائق من المكلفين ، كقوله تعالى :

﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

﴿ بشيراً ونذيراً ﴾ أي تبشر من أطاعك بالجنة وتنذر من عصاك بالنار .

قال محمد بن كعب في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ يعني إلى الناس عامة ، وقال قتادة في هذه الآية : أرسل الله تعالى محمداً ﷺ إلى العرب والعجم ، فأكرمهم على الله تبارك وتعالى أطوعهم الله عز وجل .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : إن الله تعالى فضل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء ! قالوا : يا بن عباس فبم فضله على الأنبياء ؟ قال : إن الله تعالى قال :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤] .

وقال للنبي ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ [سبا : ٢٨] .

فأرسله إلى الجن والإنس^(١) . أيضاً قوله تعالى :

(١) تفسير القرآن العظيم : ٥٥٣ / ٥ .

﴿الرَّكِيبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم : ١] .

وهناك آيات مكية ، جاء فيها الحديث العام عن طريق ذكر (الإنسان)
ليدل القرآن أن هذه الرسالة الخاتمة هي رسالة لكل الناس ، لكل
إنسان ، في كل زمان وكل مكان ، وهذه هي العالمية بحد ذاتها ، من
ذلك قول الله تعالى :

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿التين : ٥-٤﴾ .

وقوله أيضاً : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٦﴾

[العاديات : ٧-٦] .

وهناك طائفة من الآيات القرآنية ، تخاطب الناس كافة ، وذلك عن
طريق الكلمات الشمولية العامة ، ككلمة (العبد والعباد) وفيه دلالة
واضحة على عالمية القرآن الكريم وعالمية الرسول الخاتم ﷺ ، من ذلك
قول الله تعالى :

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

[فاطر : ٣٢] .

وقوله أيضاً : ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وهناك طائفة من الآيات توحى بعالمية هذه الرسالة الخاتمة ، بحيث
تخاطب عامة الناس عن طريق إطلاق كلمة (بني آدم) سواء كانوا عرباً أو
عاجم ، وأياً كان لونهم وجنسهم و... ، كما في قوله تعالى :
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَئِ ءَادَمُ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُّبِينٌ﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿يس : ٦٠-٦١﴾ .

وقوله أيضاً : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

وهناك طائفة أخرى من الآيات تدل على عالمية الرسالة ، لما فيها من خطاب عام ، كما في قوله تعالى :

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٧٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير : ٢٧-٢٩] .

وقوله أيضاً : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

[الفرقان : ١] .

وقوله أيضاً : ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٦-١٠٧] .

وأيضاً هناك طائفة من الآيات الكثيرة والتي فيها الأدلة الواضحة على العالمية ، مثل كلمات : (البشر ، نفس ، الإنس والجن ، المشرق والمغرب ، السموات والأرض ، الأولين والآخرين ، أمة وأمم ، أهل القرى ، البرية ...)^(١) .

وهناك شيء آخر لا بد من ذكره وهو :

أن الشريعة الإسلامية جاءت لتنسخ كل الشرائع التي قبلها ، فكتاب الشريعة العالمية هو القرآن الكريم ، وهو المعجزة الخالدة ، والذي يتجدد مع تجدد الأيام والدهور ، وكم حاول المستشرقون والأعداء الحاقدون أن يحرفوا ولو كلمة واحدة ، لكن الله سبحانه قطع على نفسه وعداً بحفظ هذا القرآن :

(١) للتوسع يراجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، أو المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

لذلك فسائر معجزات الأنبياء السابقين ذهبت مع ذهاب وقتهم ، وإلا فأين عصا موسى اليوم؟ وأين تكليم سليمان للحيوانات وتسخيره للريح؟ وهكذا؟

أما معجزة النبي العالمي الخاتم ﷺ فهي باقية خالدة مع خلود الزمن ، قال الإمام ابن حزم رحمه الله : نسخ عز وجل بملته كل ملة ، وألزم أهل الأرض جنهم وإنسهم اتباع شريعته التي بعث بها ، ولا يقبل من أحد سواها ، وأنه عليه السلام خاتم النبيين لا نبي بعده ، برهان ذلك ، قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾

[الأحزاب : ٤٠] .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن النبوة والرسالة قد انقطعت » فجزع الناس ، فقال : « قد بقيت مبشرات وهي جزء من النبوة » .

كذلك تتضح مسألة نسخ الشريعة الإسلامية لكل ما سبقها من الشرائع في أنها جاءت لتستكمل كل ما يحتاجه الناس في دنياهم وأخراهم ، فلم تغلب الجانب المادي على الجانب الروحي ولا العكس ، إنما :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وبالتالي كانت الشريعة السمحة التي ترفع لواء اليسر لا التعقيد ، والرخص الشرعية لا الحرج ، كما قال الله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .

وقال أيضاً : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

[البقرة : ١٨٥] .

وقال أيضاً : ﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

لذلك كانت الرخص الشرعية كي تناسب كل زمان ومكان : فمن لم يجد الماء تيمم ، ومن سافر جاز له الجمع والقصر في الصلاة والإفطار في الصيام . . . وهكذا .

وفي هذا أدلة كافية على صلاحية الإسلام لكل وقت وعصر ، وهذه هي العالمية الحقّة .

وقد فصلت كتب الأصول هذه المسألة ، حيث تقوم الشريعة على تقرير الأحكام وتفصيلاتها على القرآن الكريم فإن لم نجد ذلك فإلى سنة رسول الله ﷺ . فإن لم نجد ذلك فإلى الإجماع - إجماع أهل الحلّ والعقد - ، وإلا فإلى القياس ، وإلا فإلى الاستصحاب ، وإلا إلى العرف ، وإلا فإلى سدّ الذرائع والمصالح المرسلة والاستحسان ، وفي هذا متسع كبير لكل ما يستجد من أمور في الحياة ، سواء كان ذلك في المجالات المالية والاقتصادية ، أو في المجالات الطبية والتشريحية والعلمية ، وما إلى هنالك ، وهذه المرونة في الشريعة لها بحق مفعرة للمسلمين أولاً ولكل من أنزل عليهم كتب سماوية ثانياً ، وللعالم بأسره ثالثاً ، لكن من الذي يلتفت إلى ذلك فيحسن صنعاً؟!

* * *

أما أن الرسول ﷺ عالمي في كل أمور حياته ، بحيث يستطيع أي فرد وفي أي زمان وأي مكان أن يتبعه ليصل إلى الهداية والسعادة ، فذاك أمر تؤيده النصوص المنقولة والأمور المعقولة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر : ما رواه الإمام أحمد في مسنده : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني أمرت بأخ يهودي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال :

فتغير وجه رسول الله ، قال الراوي - وهو عبد الله بن ثابت - : ألا ترى وجه رسول الله؟ قال عمر : رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ، قال : فسري عن النبي ﷺ وقال : « والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتكم ، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين » .

وما رواه الإمام أحمد أيضاً ، أن النبي ﷺ قال : « مثلي في النبيين كمثلي رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم وضع هذه اللبنة؟ فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة » .

لذلك أوضح القرآن الكريم خصوصية الرسل جميعاً لأقوامهم ، بينما الرسول الخاتم هو الرسول العالمي ، من ذلك قول الله تعالى :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ ﴾ [نوح : ١] .

وقوله : ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٥] .

وقوله : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ ﴾ [الأعراف : ٧٣] .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ ﴾ [إبراهيم : ٥] .

وقوله : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

[آل عمران : ٤٩] .

وهكذا فكل رسول أرسل إلى قومه ، فهو خصوصي في رسالته ودعوته إلا الرسول الخاتم ﷺ فقد كان عاماً عالمياً في دعوته ورسالته ، فخطبه الله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبا : ٢٨] .

بل هو الرحمة للناس جميعاً :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

لذلك وجب اتباعه ﷺ ، فلا نبي بعده ، ولا كتاب سماوي يأتي به أحد بعد ما جاء الرسول بالقرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِمْ وَلَتُنْصِرُنَّهُمْ قَالُوا أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[آل عمران : ٨١-٨٥] .

وأما سبب تسمية الرسالة الإسلامية بأنها الخاتمة ، والنبي محمد ﷺ هو خاتم النبيين يعني أنه تمم الأنبياء بمجيئه ، وأنها تمت الشرائع السابقة بمجيئها ، لذلك قالوا : ختم الشيء هو ببلوغ آخره ، قال تعالى :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

فكانت هذه الرسالة الخاتمة جامعة بين ما صلح للأمم السابقة وأكملت ذلك بصلاح آخر يناسب الزمان والمكان ، لذلك كان فيها الصلاح المطلق والسعادة الأبدية فناسبت جميع الأمم وفي كل وقت

وحين . قال تعالى : ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

وقد قام الرسول ﷺ بمهمة تبليغ الدعوة العالمية خير قيام ، فهو لم يعكف في جوار الكعبة ، ولم يكتف بالدعوة في مكة المكرمة .

بل راح يوسّع رقعة دعوته ﷺ ، فأرسل الرسل إلى الملوك ، حتى عدّ كتاب السيرة النبوية ذلك إلى الخمسين كتاباً^(١) ، من ذلك ما رواه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : وكتب إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله ، إلى المقوقس عظيم القبط ، سلامٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم القبط :

﴿ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا نَسْبِدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وبعث به مع حاطب بن أبي بلتعة ، فلما دخل عليه ، قال له : إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، فانتقم به ، ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ، ولا يعتبر بغيرك بك . فقال : إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خيرٌ منه . فقال حاطب : ندعوك إلى دين الله ، وهو الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه إن هذا النبي دعا الناس ، فكان أشدّهم عليه قریش ، وأعداهم له اليهود ، وأقربهم منه النصارى ، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا

(١) للتوسع والتفصيل في ذلك يراجع أحداث السنة السابعة للهجرة في كتاب : سيرة سيد الأنام ، للمؤلف : ١١٧/٤ .

إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته ، فالحق عليهم أن يطيعوه ، وأنت ممن أدركه هذا النبي ، ولسنا ننهك عن دين المسيح ، ولكننا نأمرك به .

فقال المقوقس : إني قد نظرت في أمر هذا النبي ، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء ، والإخبار بالنجوى ، وسأنظر ، وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حُقٍّ من عاج ، وختم عليه^(١) .

وهذه العالمية عند رسول الله ﷺ هي التي جعلته يهتم بتربية صحابته تربيةً صالحة ليكونوا قدوة للأمم والشعوب في كل شيء ، وقد أثبت التاريخ نجاح هذه التربية إلى حد عجيب .

كيف لا ، والقرآن يناديهم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قُوْرٍ عَلٰٓى اَلَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ ﴾ [المائدة : ٨] .

كيف لا ، والقرآن يوجههم الوجهة الصحيحة :

﴿ تِلْكَ اَلْذٰرُ الْاٰخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِيْنَ لَا يُرِيْدُوْنَ عُلُوًّا فِى الْاَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَّالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ ﴾ [القصص : ٨٣] .

كيف لا ، والقرآن يفهمهم المساواة بين الحاكم والمحكوم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثٰى وَجَعَلْنٰكُمْ شُعُوْبًا وَّقَبَاۗٔلَ لِتَعَارَفُوْٓا اِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ اَتْقٰىكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

(١) زاد المعاد : ٦٩١/٣ ، ويراجع : عيون الأثر لابن سيد الناس : ٢٦٦/٢ ، ودلائل النبوة لليهقي : ٣٩٥/٤ ، وتاريخ الطبري : ٦٤٥/٢ .

وهكذا انطلق الرعيل الأول إلى البلاد والعباد ، لا ليقتلهم ويحرقهم ويسلب خيراتهم ويأسر رجالهم ويسبي نساءهم ، إنما كما قال رباعي بن عامر رضي الله عنه في مجلس يزدجرد :

إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام .

لذلك عاش الناس من مسلمين ويهود ونصارى ومجوس و... ، متآلفين متحابين في ظل شريعة الإسلام ، فكانت بحق هي الشريعة العالمية الخالدة :

﴿ الَّذِيكَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٣٩] .

* * *

أما إن الإسلام عالمي في مبادئه وأنظمته ، فهذا أمر يطول البحث فيه ، ذلك لأن الباحث المنصف أتى دقق النظر في جوانب الإسلام ، سواء كان ذلك في الأمور السياسية أو الاقتصادية أو العلاقات الدولية ، أو في العلاقات مع غير المسلمين ، أو في الجانب الأدبي ، أو في الجانب التربوي ، وصل إلى حقيقة عالمية الإسلام ، وأن هذا الدين الخاتم ليس لفترة محددة ، ولا لشعب أو أمة فقط ، إنما هو دين لكل زمان ومكان ، ولنضرب بعض الأمثلة فقط : في المجال الخارجي وضع الإسلام ضوابط دقيقة لتعامله كدولة مستقلة مع الدول التي لا تدين بالإسلام ، وقد أوضحت كتب السياسة الشرعية ذلك بوضوح ، خاصة ما كتبه الإمام ابن تيمية رحمه الله في كتابه : السياسة الشرعية .

وقسم الإسلام الناس إلى مواطنين مسلمين يعيشون ضمن الدولة

الإسلامية ، ومواطنين من غير المسلمين يعيشون ضمن الدولة الإسلامية عليهم بعض الضرائب (كالجزية) لقاء حماية المسلمين لهم ، وهناك دار الحرب وقد وضعت لها أحكام مبسطة في أمهات كتبنا الفقهية .

وبالتالي ضببت مسألة السلام والحرب ضمن ضوابط دقيقة مثال : لا يجوز قتل الطفل ولا الشيخ المسن ولا المرأة ولا الراهب ولا . . . ، وفي الكتب الفقهية (كالخراج لأبي يوسف) نص المعاهدات التي أجراها الحكام المسلمون لأهل الذمة .

وفي المجال الداخلي : تقوم الحكومة الإسلامية على قواعد أهمها الشورى :

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

[الشورى : ٣٨] .

وركزت الشريعة على مسألة طاعة ولاة الأمر الذين يسرون على النهج القويم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] .

وكانت فترة الخلفاء الراشدين فترة منضبطة بالقواعد الشرعية لحقوق المحكوم وعلاقته بالحاكم ، لذلك كان الخليفة يتورع عن أكل أموال الشعب ، ويسير بذلك ضمن مظلة الخوف من الله عز وجل ، ووصل الفرد إلى حريته الشخصية ، وشعر بالمساواة مع أقرانه ، ومورس القضاء كأحسن ما يكون ، وبالتالي عاش الجميع في سعادة وأمن وأمان . . .

وفي المجال الاقتصادي : وقف الإسلام الموقف الوسط ، فللفرد حق التملك وللجماعة حق في التملك وكلاهما يكمل الآخر .

وقد أثبتت الوقائع التاريخية أن النظام الإسلامي هو النظام العالمي الوحيد الذي استطاع القضاء على أعتى مشكلة يعاني منها الإنسان وما

زال ، وهي مشكلة الفقر ، وذلك عندما طبقت فريضة الزكاة تطبيقاً منهجياً عادلاً^(١) .

ولم يأت الإسلام بثورة ضد الأغنياء أبداً وإنما أرسى قواعد التفضيل في الرزق ، لا محاباة مع فئة ضد فئة ، إنما من باب الابتلاء : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ [النحل : ٧١] .

لكن وضع أموراً تقرب بين الفقراء والأغنياء : كالميراث ، والزكاة ، والتبرعات ، وما إلى هنالك كذلك اهتم النظام الاقتصادي الإسلامي بمسألة العمل والعمال : فكان التشجيع للعمال على الاهتمام بعملهم ، وكانت هناك حقوق واضحة للعمال ، إضافة إلى الأجر الأخرى من الله .

ومثله كان الاهتمام بمسألة الثروة على أن تكون ذات مصدر حلال ، وأن تنفق في أوجه الحلال ، حتى إنه جعلها من الأمور التعبدية ، وهذا أمر لا يصل إليه نظام كوني أبداً ومثله مسألة الملكية - الفردية والجماعية ..

وأما من الناحية الاجتماعية : فقد اهتم الإسلام بمسألة الزواج الحلال ليغلق كل المنافذ التي تؤدي إلى الحرام ، ورغب الإسلام بالزواج ، ووجه الأغنياء والحاكمين على الأمر وولاة الفتيات والشباب أن يساعدوا في مسألة وضع الحلول المناسبة للزواج ، وإلا : « تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » ، وركز الإسلام على مسألة العفة والصون ، فلا انفلات ولا عرض للشهوات على قارة الطرقات ، إنما :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَرَادَ اللَّهُ لَكُمْ

(١) للتوسع يراجع : المسيرة التاريخية لتطبيق فريضة الزكاة (دراسة فقهية اقتصادية تاريخية) للمؤلف .

خَيْرٌ يَمَاصِنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ

[النور : ٣٠-٣١] .

لذلك وضعت قوانين دقيقة لبيت الزوجية : علاقة الأب مع الأم ، وعلاقتها مع الأولاد ، وكل ذلك تحت مظلة : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

لذلك كان النظام الاجتماعي والتربوي الإسلامي نظاماً دقيقاً واضحاً ، عالمياً يناسب كل زمان ومكان ، ومثل ذلك نستطيع القول عن مسألة مهمة وهي التكافل والتكامل الاجتماعي بين الفرد وأسرته ، وبين الفرد والجماعة ، وبين الأمة والأمم ، وفي ذلك أدلة واضحة على ما قلناه سابقاً : لقد سبقت عالمية الإسلام عولمة اليوم بأشواط وأشواط ، لكن العيب ليس في الشريعة الإسلامية ، إنما...!! .

* * *